مستقبل العراق في ضوء نتائج الانتخابات.. "الصدر" في مواجهة الطائفية والتحزب

مركز سمت للدراسات
SMT Studies Center

الخميس, 17 مايو 2018

قراءة خاصة 96

مما لا شك فيه أن الانتخابات التشريعية العراقية 2018، المنعقدة في 12 مايو/ آيار الماضي، ذات أهمية خاصة، لأمرين: أولهما، أنها ثاني انتخابات عراقية منذ الانسحاب الأميركي من العراق عام 2011، ورابع انتخابات منذ التدخل الأميركي عام 2003، لانتخاب 329 عضوًا في مجلس النواب العراقي الذي - بدوره - ينتخب رئيس الوزراء العراقي ورئيس الجمهورية. والأمر الثاني، ما أسفرت عنه من نتائج شكلت منعطفًا هامًا على الساحة السياسية العراقية، ولا سيَّما بعد هزيمة تنظيم "داعش"، بالإضافة إلى طبيعة الواقع السياسي الراهن، الذي يعبر عن مدى حساسية المرحلة القادمة.(1)

وكان تنظيم "داعش" في وقت سابق، قد أحكم سيطرته على ما يقرب من ثلث دولة العراق، وبخاصة محافظة الموصل، وقد أعلن رئيس الوزراء حيدر العبادي، في التاسع من ديسمبر الماضي، تحرير آخر معاقل "داعش" بالعراق، وهي غربي محافظة الأنبار والشريط الحدودي مع الدولة السورية. وفي إطار رد قيادة العمليات المشتركة على هذه التهديدات، قال المتحدث باسم القيادة، العميد يحيى رسول، في بيان: "إن هذه ليست المرة الأولى التي تجري فيها انتخابات في العراق، وهناك الآن خطط ترسم لتأمين مراكز الاقتراع، ولدينا عمليات استباقية تقوم بها قطعاتنا وعمليات تفتيش ودهم وإلقاء قبض، وتدمير ما تبقى من خلايا "داعش"، ونحن نتعامل مع عدو إرهابي، ونطمئن الشعب العراقي إلى أن القوات العراقية تقوم بجهد كبير، وستؤمن مراكز الاقتراع بشكل تام، وأن بيان التنظيم الإجرامي هو محاولة مهزوم لشحذ عناصره، وهو بيان ضعيف، ورغم ذلك نحن نتعامل مع كل هذه التهديدات على محمل الجد، وأن الشعب العراقي يعيش بخير وسلام، وسنستمر بالمتابعة والملاحقة، وستكون عملية الاقتراع ناجحة، وعلى المواطن أن يتأكد من ذلك، وأن يختار من يريد بلا خوف من تهديدات (داعش)".(2)

هذا، وكان قد شهد العراق بعض مظاهر العنف والاغتيالات قُبيل الاستحقاق الديمقراطي، حيث شهد إقليم كردستان العديد من الحوادث، منها في يوم 24 أبريل الماضي قُتل شخص وأصيب 7 آخرون في هجوم على منزل عمار كهية، المرشح الانتخابي على قائمة تركمان

---

*وحدة الدراسات السياسية

كركوك، وكانت هذه المحاولة الثانية لاستهداف "كهية" الذي نجا منهما. وفي اليوم التالي، اغتال مجهولون فارس محمد، مدير القسم الإداري في مفوضية الانتخابات والاستفتاء في كردستان، وحسب ما صرحت به وكالة أنباء الإعلام العراقي، أن مجهولين كانوا يستقلون سيارة بمدينة أربيل وأفرغوا طلقات النيران في المسؤول الانتخابي ولاذوا بالفرار، ولم تعلن جهة مسؤوليتها عن الحادث. هذا، بالإضافة إلى العديد من مظاهر العنف الانتخابي الأخرى، وهو ما يُعقد الوضع ويخلط بعض الأوراق أمام القوات العراقية.(3)

*وحدة الدراسات السياسية

وتعود أهمية هذه الانتخابات إلى العديد من القضايا التي تتلخص في عدد من النقاط، منها:

أولًا: تحديد من هو رئيس الوزراء القادم، ثم استيضاح كيفية مجابهة الإرهاب والقضاء عليه نهائيًا، ونبذ الطائفية وتعزيز قيم المواطنة، بالإضافة إلى أن مكافحة الفساد، وإعادة إعمار، ومحو الآثار التدميرية الإرهابية تأتي على رأس أولويات المرشحين جميعًا.

ثانيًا: تأتي أهمية هذه الانتخابات العراقية في ظل التحديات الإقليمية والدولية التي تواجه المنطقة العربية بالكامل، والعراق بصفة خاصة، مع محاولات إيرانية للتدخل وإحكام هيمنتها الكاملة على العراق، وكذلك في ظل جو من التشاحن والصدام بين المملكة العربية السعودية وإيران، خصوصًا مع سياسات "شد الأطراف" التي تمارسها إيران في كلٍّ من العراق وسوريا واليمن والبحرين وقطر؛ مما يهدد الأمن القومي السعودي بشكل خاص، والأمن القومي العربي بشكل عام، في رغبة دائمة من النظام الإيراني في تصدير الثورة الإسلامية للمنطقة العربية.

لذا، كان على المواطن العراقي اختيار برلمان يُعبر عن العراق بتنوعاته الثقافية والدينية، ويكون هذا البرلمان (والحكومة المنبثقة عنه)، قادرًا على مجابهة التحديات الإقليمية والدولية، ومحيدًا بشكل نسبي التدخلات الإيرانية في الشأن العراقي، وأن يعمل على القضاء على الإرهاب وإعادة الإعمار للإنسان والوطن قبل البنايات الخرسانية.

في الداخل العراقي، يرى كل تيار أن الانتخابات الراهنة، وما يتمخض عنها، سيؤول - بالطبع - إلى إعادة رسم المشهد السياسي في العراق والتأثير على التحركات العراقية في الدوائر الإقليمية والدولية، التي تتسم بالضبابية وعدم الوضوح. وعلى صعيد آخر، تتسارع الأدوار الإقليمية والدولية لتؤيد تحالفات سياسية على حساب أخرى، لإدراكها أن تداعيات المرحلة الراهنة، ستوثر - حتمًا - في الأحداث السياسية وصراعات المنطقة.

المؤشرات الأولية لنتائج الانتخابات

وبحسب النتائج المعلن عنها من قبل مفوضية الانتخابات العراقية، تصدر تحالف "سائرون"

---

*وحدة الدراسات السياسية

بقيادة مقتدى الصدر، المركز الأول، وبناءً عليه ذكر "الصدر" الزعيم الشيعي المعروف، في تغريدة له أطلقها الثلاثاء الأخير، يشير فيها إلى توجهه نحو تأسيس حكومة تكنوقراط لا تحزب فيها. واللافت هنا، تهنئة ثامر السبهان، وزير الدولة لشؤون الخليج العربي بالسعودية، زعيم التيار الصدري بمناسبة تصدر تحالفه "سائرون"، وهو ما يحيلنا مباشرة إلى العلاقات السعودية العراقية.

الشاهد، بشأن العلاقات السعودية - العراقية، أنها تحسّنت، العام الماضي، بعد قطيعة دامت نحو 27 سنة، بعد غزو العراق للكويت عام 1990، وبدأت تتطوّر بشكل ملحوظ، لا سيَّما بعد أن أجرى عدد من المسؤولين السعوديين والعراقيين رفيعي المستوى، زيارات متبادلة، ومنهم مقتدى الصدر.

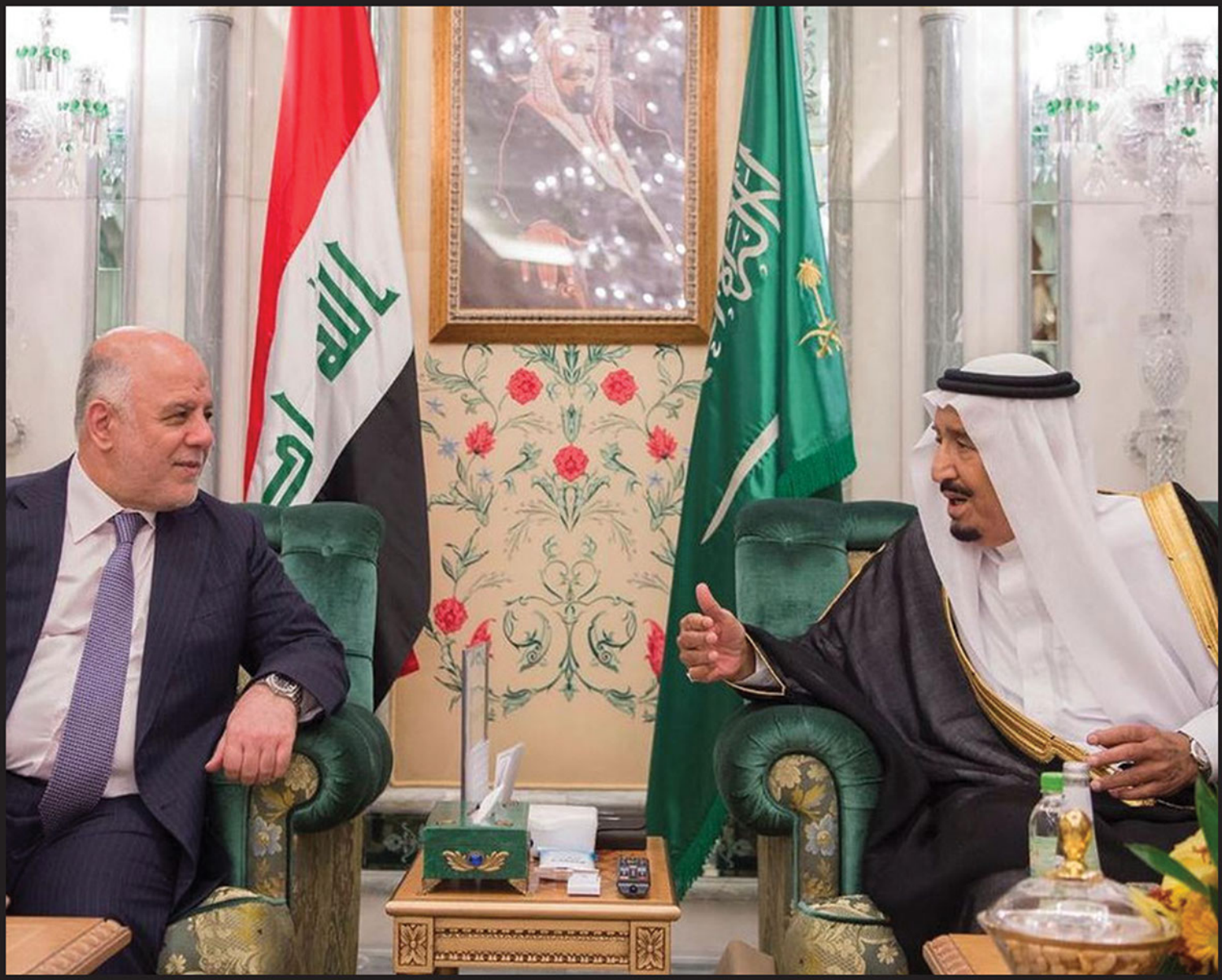

*وحدة الدراسات السياسية

وتكللت هذه الزيارات بتأسيس مجلس للعلاقات الاستراتيجية، وإعادة فتح المعابر الحدودية المغلقة منذ أكثر من 25 عامًا، وكذلك زيادة الرحلات الجوية المباشرة لتكون يومية، وفتح المجال أمام الاستثمار المحلي بين البلدين، مع زيادة التبادل التجاري.

وبعد اجتماع زعيم التيار الصدري، بالمسؤولين السعوديين في جدة، أعلن مكتب الصدر أنه "توصل إلى اتفاق لدراسة الاستثمارات في المناطق الشيعية في جنوب العراق"، مشيراً إلى أن الرياض تدرس فتح قنصلية في مدينة النجف التي يعتبرها الصدر قاعدته الشعبية.

وبالعودة إلى نتائج الانتخابات، جاء تحالف "سائرون" في المقدمة، ثم تحالف "الفتح" - الذراع السياسي لميليشيات الحشد الشعبي - بقيادة هادي العامري، المركز الثاني. بينما حل تحالف "النصر" بقيادة رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي، المركز الثالث،(4) بنسبة تصويت بلغت 44.53 في المئة؛ ما يعني أن أكثر من 50 % من الناخبين لم يشاركوا في الانتخابات، وهي نسبة ليست بالقليلة، إذ تبرز عاملاً حيويًا مهمًا ومختلفًا عن الانتخابات الماضية - وصلت نسبة المشاركة في انتخابات 2010 لـ60 % - وهو تغير كبير في مزاج الناخب العراقي الذي يبدو عازفًا عن الانتخابات وساخطًا من نتائجها الماضية التي لم تحقق تطلعات الفرد العراقي نحو الديمقراطية والتنمية والحياة والآمنة والتطور، فضلًا عن نزوح الآلاف من العراقيين، غالبيتهم من السنة والأكراد، إلى البلدان المجاورة أثناء الحرب على تنظيم "داعش".(5)

الملامح المستقبلية للحكومة الائتلافية

بعد النتائج النهائية للانتخابات الراهنة، وإعلان التحالفات السياسية الفائزة، ستدخل العراق مرحلة جديدة تسمى بمرحلة "انتخاب الانتخابات"، والدخول في تفاوضات جديدة بين الائتلافات السياسية لإرساء ملامح الحكومة المقبلة. هذا، وسيكون للاهتمام الدولي والإقليمي دور في تشكيل الحكومة، سيفرض به الكثير من التحديات على مسار العملية التفاوضية بين التحالفات السياسية.(6)

ومن المتوقع أن تحوي المرحلة القادمة في ثناياها، إدخالات سياسية جديدة. فإلى جانب

*وحدة الدراسات السياسية

الصراع الشيعي - السني، سيكون هناك صراع بين الائتلافات السياسية داخل البيت الشيعي حول تقسيم مناطق النفوذ، واختلاف المنطلقات الفكرية لكلٍّ منهم، فيستقي تحالف "الفتح" إملاءاته من الدور الإيراني. كما أن التيار الصدري يعلن الاستقلالية عن إيران والولايات المتحدة في العراق، مرتكزًا على الإصلاحات الداخلية، وتوسيع دائرة العراق العربية. أمَّا عن تحالف "النصر"، فهو يميل إلى السياسة الأميركية داخل العراق. ومن المتوقع أن الخلافات بينه وبين الطوائف السياسية الأخرى، ستكون أقل وطأة؛ لإعرابه عن الاستعداد للتفاوض مع كافة الطوائف السياسية الفائزة في الانتخابات. وفيما يلي سنوضح بعضًا من ملامح المرحلة الجديدة بعد الانتخابات العراقية:

- الصراع الشيعي- الشيعي

إن التحالفات بعد الانتخابات، هي العامل الأكثر أهمية في تشكيل الحكومة المقبلة التي - من المتوقع - سيكون التنافس عليها بين ثلاثة أقطاب: (التيار الصدري, والحشد الشعبي، وتحالف النصر)، وهذا يعتمد على شكل التحالفات ما بعد الانتخابات وكيفية إجراء التسويات لكل قطب منهم، مع تراجع واضح للقوى التقليدية الكردية والسنية.

وهنا ستجمع الحكومة الجديدة ما بين ائتلافات متناقضة ستحد - بالطبع - من تشكيل تحديات واضحة لمرحلة ما بعد "داعش"، لتحديات أخرى، وهي كيفية مواجهة الخصم الآخر الذي يحاول توسيع رقعة النفوذ بناء على إملاءات خارجية. وبالطبع، ستفتح الملفات الشائكة على الساحة العراقية، من أهمها ملف ميليشيات الحشد الشيعي التي هاجمها مقتدى الصدر كثيراً، وبأنها ذراع إيران في الدولة العراقية، هذا إلى جانب قضايا الفساد المالي والإداري في الحكومة السابقة، والعلاقة مع إقليم كردستان.

ومن الجدير بالذكر، أن تلك النتائج ليست هي النتيجة النهائية، فلم يعد حتى الآن، فرز الأصوات الخاصة بالتصويت الخاص للأجهزة الأمنية، والعراقيين بالخارج، وكذلك المحافظات الثماني المتبقية، التي من المحتمل أن تغير خريطة الفائزين الحالية، أو تدخل حلفًا جديدًا لهم على طاولة المفاوضات المقبلة. كما قد يكون التأجيل محاولة للتزوير وتدخل عناصر خارجية للتلاعب بنتيجة الانتخابات لتدعيم تحالف سياسي على آخر.

وفي المرحلة القادمة في حالة إذا لم يحصل مقتدى الصدر على أغلبية عددية - السيناريو الأرجح - تحميه من المعارضة من باقية التحالفات السياسية، فإنه من المتوقع أن يحدث صراعات على خليفة من يتولى رئاسة الحكومة العراقية لما له من صلاحيات واسعة، هذا إلى جانب الصراعات المحتمل حدوثها على خلفيات القرارات المتخذة من رئاسة الوزراء.

وعلى جانب آخر، ستحاول الائتلافات الأخرى، تحالف "القانون" برئاسة المالكي، تفكيك تحالفي كلٍّ من تحالف "النصر" بقيادة العبادي - على خلفية تنافسية سياسية سابقة، فكلاهما منشقان عن حزب الدعوة - وتحالف "الصدر" المرجح حصوله على أكثرية مقاعد البرلمان.

- هل يؤسس التيار الصدري لمرحلة جديدة في العلاقات العراقية - العربية؟

لقد جاء انتخاب مقتدى الصدر لتتجلى بها دوافع المواطن العراقي في الابتعاد عن التبعية لإيران، لاتخاذه موقفًا وسطيًا من السياسة الإيرانية، حيث عارض التدخل الأجنبي في الشؤون العراقية؛ وكثيراً ما عارض التدخل الإيراني في العراق وفي سوريا، وطالب الأسد بضرورة التنحي،

---

*وحدة الدراسات السياسية

وعارض إنشاءها لميليشيات الحشد التابعة لتحالف "الفتح"، فضلًا عن أنه يعتبر الولايات المتحدة هي العدو الأول للعراق. كما قام بجولة في البلدان العربية، لكلٍّ من المملكة السعودية والإمارات العربية المتحدة، ناهيك عن تضمين قائمته تحالفًا غير مألوف ممزوجًا ما بين القوى المدنية (الشيوعيين والمستقلين). وجاء تصدره المشهد الانتخابي للإعراب عن مناهضة المواطن العراقي للطائفية الإيرانية.

- الأدوار الخارجية في الحكومة المقبلة

عند الحديث عن الدور الخارجي في تشكيل الحكومات العراقية المتعاقبة بعد عام 2003، يمكن القول إن كل الحكومات وضعت بلمسات خارجية واضحة، بل إن أغلب القوى السياسية، في اليوم التالي لبروز نتائج الانتخابات، تبدأ بحشد الدعم الخارجي لحماية مكتسبات ما بعد مرحلة ظهور النتائج؛ لأن التقاليد السياسية العراقية قد اعتادت التعاطي مع الأدوار الإيرانية والأميركية.

أمَّا الدور العربي، فتتصدره السعودية، التي أدركت - بالفعل - نتائج الانتخابات العراقية، وتؤمن بأهمية الانفتاح على الطوائف السياسية العراقية والوقوف في وجه الأدوات الإيرانية المتمثلة في الحشد الشعبي الذي أصبح جزءًا من الحكومة المقبلة. وتفرق المملكة السعودية ما بين الشيعة العراقيين والمليشيات الشيعية الإيرانية، وعليه فإنها تقدم الدعم للطوائف السياسية الشيعية المدنية ومنها تحالف "سائرون" و"النصر".

أبرز التداعيات بعد توتر العلاقات بين إيران والولايات المتحدة بعد انسحاب الأخيرة من الاتفاق النووي الإيراني، سيدفع إيران – بالتأكيد - نحو دعم تشكيل حكومة في العراق يمكن عدها (حكومة حرب)، خاصة بعد حصول الحشد الشعبي على المرتبة الثانية في المؤشرات الأولية، تكون على مواجهة حقيقة مع الولايات المتحدة وتغير المعادلة العراقية على نحو يضفي تداعيات بالغة السوء على العراق ونظامه السياسي ويعيده ساحة صراع ملتهبة.

سيناريوهات محتملة(7)

وأخيراً، لا يعني فوز التحالف المدعوم من "الصدر" بأكبر عدد من الأصوات، أنه سيشكل الوزارة القادمة بسبب طبيعة توزيع الكتل الكبرى في البرلمان العراقي، إذ يتعين على الكتلة الفائزة بأكبر عدد من المقاعد، أن تخوض مفاوضات مع الكتل الأخرى تحت قبة البرلمان لتشكيل حكومة توافقية، خلال تسعين يومًا كما يشترط الدستور العراقي.

إن الصراع السياسي المتمخض عن التنافس بين الكتل السياسية، لنيل منصب رئاسة الوزراء، الذي له صلاحيات واسعة، سيكون له - بلا شك - تداعيات على الشؤون الداخلية العراقية، فهناك العديد من التحديات الصعبة الداخلية ما بعد القضاء على التنظيمات المتطرفة، وهي إعادة إعمار الدولة العراقية، وبنيتها التحتية، وإعادة إنشاء نظام اقتصادي راسخ، والبدء بمنظومة فكرية للتغلب على الصراع الطائفي والمذهبي بها. كل تلك، تحديات في أمس الحاجة إلى قيادة إدارية جديدة لتوجيه دفتها نحو الإصلاح والتطور.

أمَّا الخارج، فهو الآخر ليس ببعيد عن الداخل العراقي، فحالة الاستقطاب الإقليمي التي

---

*وحدة الدراسات السياسية

تعيشها منطقة الشرق الأوسط، سوف لن تسمح لأي نظام سياسي بتبني مواقف سياسية مستقلة، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بإيران والجماعات المسلحة من جهة، والقوى الإقليمية والدولية من جهة أخرى، فالموقف الأميركي من الاتفاق النووي، والعلاقة مع إيران وتركيا والسعودية، وغيرها من الملفات الشائكة والمعقدة، ستكون من أكبر المشاكل التي تقف بوجه تشكيل الحكومة العراقية المقبلة.

سيناريوهات محتملة لتشكيل الحكومة على ضوء نتائج الانتخابات العراقية

1

السيناريو الأول

تحالف الصدر والعبادي وعلاوي وعدد من القوى الكردية وأحزاب صغيرة أخرى لإعلان الكتلة الأكبر التي تشكل الحكومة برئاسة العبادي

2

السيناريو الثاني

تحالف العبادي مع المالكي والفتح واستقطاب قوى سنية وكردية لتشكيل الكتلة الأكبر ودفع الصدر إلى المعارضة

3

السيناريو الثالث

آلية تشكيل حكومة 2014 حيث تجتمع القوى الشيعية في نطاق ما يعرف بـ"التحالف الوطني" لتشكيل الكتلة الأكبر وترشيح رئيس الحكومة

4

السيناريو الرابع

تشكيل الصدر والعبادي والعامري لتحالف واحد يشكل الكتلة الأكبر إذ يستجيب هذا التحالف لشروط الصدر بعدم التحالف مع المالكي

5

السيناريو الخامس

نجاح المالكي والعامري في تشكيل تحالف مع سنة وأكراد وهو أمر مستبعد في ضوء نتائج الطرفين

*وحدة الدراسات السياسية

وفي كل الأحوال، يفرض التفسير الذي طُبق في تجربتين انتخابيتين سابقتين، على الكتل السياسية، البدء بحوار لتشكيل الكتلة الأكبر، وسط خمسة سيناريوهات مطروحة، نعرضها كالتالي:

- يذهب أولها إلى اجتماع كُتل الصدر والعبادي وعلاوي وعدد من القوى الكردية وأحزاب صغيرة أخرى، لإعلان الكتلة الأكبر التي تشكل الحكومة برئاسة العبادي، وهو تحالف يقود الوضع السياسي، بعد دفع بقية الفائزين، مثل "الفتح" و"دولة القانون" إلى المعارضة. لكن، هذا السيناريو تعيقه احتمالات التصادم مع الأطراف المستبعَدة والقريبة من النفوذ الإيراني، خصوصًا أنه قد يتطلب شروطًا يفرضها الصدر، كانسحاب العبادي من "حزب الدعوة"، وأخرى تفرضها الأطراف السنية والكردية، تنتج حكومة أكثر ضعفًا من سابقتها.

- أمَّا السيناريو الثاني، فيذهب إلى تحالف العبادي مع المالكي و"الفتح"، واستقطاب قوى سنية وكردية لتشكيل الكتلة الأكبر، ودفع "الصدر" إلى المعارضة. وهو احتمال ليس سهلاً أيضًا؛ لأنه من الصعب العودة إلى جمع العبادي والمالكي في كتلة واحدة، ناهيك عن اجتماعهما مع الفصائل المسلحة الفائزة، التي تصادم معها العبادي قبيل الانتخابات.

- ويستعير السيناريو الثالث، آلية تشكيل حكومة 2014، حيث تجتمع القوى الشيعية في نطاق ما يعرف بـ"التحالف الوطني" لتشكيل الكتلة الأكبر وترشيح رئيس الحكومة، وذلك خيار قد يفكك قائمتي الصدر والعبادي على حد سواء، لضمهما شخصيات سنية وقوى علمانية ومدنية ترفض التحالف على أساس طائفي.

- أمَّا السيناريو الرابع، فيجمع الصدر والعبادي والعامري في تحالف واحد يشكل الكتلة الأكبر، إذ يستجيب هذا التحالف لشروط "الصدر" بعدم التحالف مع المالكي، ويحقق مرونة في التعاطي مع القوى المسلحة التي دفعتها الانتخابات إلى المقدمة. لكن، فرض هذا التحالف صعب أيضًا؛ لأن علاقة الصدر مع القوى التي تشكل تحالف "الفتح" متوترة، وهو يطلق عليها - بشكل دائم - مصطلح "الميليشيات الوقحة". لكن اعتراضه عليها يبدو أقل من اعتراضه على المالكي.

---

*وحدة الدراسات السياسية

- ويبقى سيناريو أخير، يتمثل في نجاح المالكي والعامري في تشكيل تحالف مع سنة وأكراد، وهو أمر مستبعد في ضوء نتائج الطرفين.

المراجع

1 - الانتخابات العراقية: سائرون يواصل تصدر النتائج الأولية، موقع الحرة. https://arbne.ws/2jT-dP3E

2 - داعش يوجه سلاحه نحو الانتخابات في العراق، سكاي نيوز عربية. https://bit.ly/2wHVtf7

3 - مقتدى الصدر يرسم خطواته عبر تغريدة.. والسبهان يعلق. https://bit.ly/2IDM4do

4 - الانتخابات العراقية.. الكتل الفائزة وحصتها من المقاعد، قناة الحرة. https://www.alhur-ra.com/a/iraq-election-results/436363.html

5 - قراءة في الانتخابات العراقية 2018، مركز صقر للدراسات والبحوث الاستراتيجية، مارس 2018. http://saqrcenter.net/?p=880

6 - الانتخابات العراقية: تحالف الصدر في المقدمة والعبادي في المرتبة الثالثة، بي بي سي. https://b-bc.in/2GhYPVN

7 - الصدر مفاجأة الانتخابات العراقية والنتائج تُعقّد خيارات تشكيل الحكومة، الحياة اللندنية. https://bit.ly/2IkuQTf

خدمات مركز سمت

info@smtcenter.net

www.smtcenter.net @smt_center @Smtcentersa @smt_center